تجارة الدم انعشتها حوادث العنف والتفجيرات الارهابية

المستشفيات الخاصة اكبر المتعاملين مع (سماسرة) تجارة الدم

إياد عطية الخالدي

هل يباع الدم؟ اعرف ان هناك من يحتاج اليه، فالاشخاص الذين يدخلون صالات العمليات الكبرى والمرضى الذين هم بحاجة دائمة للدم حتى يستعيدون صحتهم، هؤلاء قد يرغمون على شرائه عندما يتعذر الحصول على من يزودهم به طوعاً، لكن من يبيع دمه؟ في الحقيقة يوجد من يتاجر بدمه بل ان لتجارة الدم (سماسرتها) ومضاربيها وصفقات انعشتها حوادث القتل والتفجيرات الارهابية والاعمال المسلحة. وهل اسعار الدم مغرية لدرجة المتاجرة به؟ تعالوا نستطلع الحقيقة، ونبدأ من حيث تبدأ رحلة البحث عن الدم في وطن كانت وما زالت دماء ابنائه فيه ارخص من الماء!

(سماسرة) الدم

رحلتنا تبدأ من المستشفيات فحينما تتوقف حياة مريض على توفير الدم يطلب الطبيب من ذويه الاستعجال باحضار دم على وجه السرعة بعد ان يوقع لهم استمارة طلب دم من المركز الوطني لنقل الدم، الذي يشترط الحصول عليه عوضاً عن الدم الذي يعطيه الى المريض، ولان العديد من المرضى وذويهم لم يهيئوا انفسهم لموقف مثل هذا تبدأ حيرتهم ويظهر عليهم القلق والارتباك.

وفي هذه اللحظة يتدخل سماسرة تجارة الدم فيعرضون بضاعتهم ويساومون عليها من هم بامس الحاجة اليها، سماسرة الدم لهم اذان وعيون في كل المستشفيات، هذا ان لم يكن بعضهم من منتسبيها وتمتد شبكتهم وعلاقتهم الى اشخاص متعاونين في المركز الوطني لنقل الدم نفسه، اما اسعار عقد الصفقات فتبدأ بأسعار عالية: ١٠٠ الف دينار، او ٥٠ الف دينار، وتنتهي بـ ٢٠ الف دينار او ١٠ الاف دينار، بحسب صنف الدم وامكانية المريض.

التنابلة والمدمنون

عندما يتم الاتفاق بين المواطن المريض والسمسار، يرسل السمسار بطلب الاشخاص الذين هم على استعداد دائم لبيع دمهم وهم في الغالب من المدمنين والتنابلة الذين يتخذون من احد المقاهي في منطقة الميدان مقراً لهم، والسمسار يعرفهم ويعرف أصناف دمهم اكثر مما يعرفونها هم.

(ابو حسين) معين في مستشفى الكرامة رفض الحديث معي في البداية بهذا الموضوع، لانه يرى من المخجل ان يتحدث في مثل هذه المواضيع، قلت له: يا عم لماذا تخجل من الحديث عن امور لا يخجل الآخرون من فعلها؟!

اشترط العم (ابو حسين) مثل الكثير غيره عدم ذكر اسمه الصريح قال: السماسرة موجودون داخل المستشفيات او بالقرب منها كأصحاب الاكشاك وباعة الشاي، وتجرى المساومات في الغالب خارج المستشفيات، اما الاشخاص الذين يبيعون دمهم فهم الاشخاص من المدمنين والعاطلين عن العمل وعادة ما يجلسون في مقاه معروفة للسماسرة في منطقة الميدان وعلاوي الحلة او يتسكعون قرب المستشفيات، ويصل الامر ببعضهم الى بيع دمهم مقابل مبلغ بخس او حتى مقابل اشباع بطنه ولا سيما جماعة التنابلة. واضاف: عرفت احد الاشخاص من الذين يعملون معنا في المستشفى يعمل سمساراً منذ اكثر من عشرة اعوام، له علاقات مع شخص يعمل في المركز الوطني لنقل الدم، وهو يعرف جميع اسماء واماكن الاشخاص المستعدين لبيع دمهم. السماسرة عادة هم المستفيدون من هذه التجارة اكثر من الاشخاص الذين يبيعون دمهم لانه يعرف من خبرته الطويلة في تجارة الدم الاصناف المطلوبة والنادرة والشحيحة، ويعرف متى يصبح الطلب على الدم كبيراً، والسماسرة هم من يضعون قائمة تسعيرة الدم بحسب الاصناف.

سألت العم (ابو حسين): هل هنا الشخص الذي تحدثت عنه اهو موجود الان في المستشفى؟ أجاب: نعم، لو كنت منتبهاً لرأيته دخل تواً الى المستشفى بصحبة زبون جديد.

طلبت من العم (ابو حسين) ان يدلني عليه او يذكر اسمه لي. قال: يا ولدي انا انسان لا احب المشكلات، والذي يتاجر بدماء الناس قد لا يتوانى عن المتاجرة بأرواحهم لكنه استدرك قائلاً: سأذكر لك شيئاً ان امور صاحبنا سيئة منذ فترة طويلة لان مدير المركز الوطني ليس من النوع الذي يتساهل مع هؤلاء الانتهازيين ولذلك فان صاحبه الذي ينسق معه العمل في المركز امره الان ليست على ما يرام!

متنفذون!

الطبيب " م. ب" قال: لا اجد مبررا لإصرارك على ذكر اسمي، نحن نتحدث عن سلوك سيئ صحياً واجتماعياً، ولا اعتقد ان ذكر الاسماء يضيف الى الموضوع شيئاً ثم استدرك قائلاً: دعني اوضح لك شيئاً ان سماسرة الدم ليسوا أشخاصاً منبوذين من الجميع في الأقل كما تتصور فهؤلاء لهم علاقاتهم ويرتبطون بمصالح ومنافع مشتركة مع آخرين، بل ان قسماً منهم متنفذون في مؤسساتنا الصحية، وكلمتهم مسموعة ربما اكثر من الاطباء. بالطبع هناك في المركز الوطني سماسرة ايضاً وصحيح انهم يعملون في تكتم ويحرصون على بقاء عملهم سراً، ولكني لا اعتقد انهم غير معروفين ويصعب كشفهم من المديرين سواء في المستشفيات ام المركز الوطني لنقل الدم في الحقيقة لا ازعم انني على اطلاع كامل، ولا املك معلومات مفصلة عن حقيقة الامور، كما اني لا احب ان اوزع الاتهامات بقدر ما اشرح رأياً انت طلبته مني وانا اجد من الواجب ان اشير الى هذه الظاهرة، واطالب بان يركز المختصون وذوو العلاقة جهودهم لمعالجتها.

المستشفيات الخاصة

ويشير الدكتور " م. ب" الى ان المستشفيات الخاصة هي اكبر المشجعين على هذه الظاهرة بقوله: ان العديد منها يرتبط بعلاقات وتعاون مع سماسرة تجارة الدم للاسف، ومنهم منتسبون في وزارة الصحة، والواقع ان المستشفيات الخاصة زبون دائم، فلكل مستشفى متعهد او اكثر لتزويده بالدم، وعندما ذكرت للدكتور ما حصل لاحدى قريباتي التي اجرت عملية ولادة قيصرية في احد المستشفيات الخاصة، وتم نقل اربع قناني دم لها وما تعرضت اليه بعد العملية من مضاعفات وبقع جلدية واعراض مازالت تشكوها، قال: انا اعرف العديد من المرضى الذين تعرضوا الى مضاعفات وامراض نتيجة حصولهم على دماء غير صحية، وللأسف يحدث هذا الامر اغلب الاحيان في المستشفيات الخاصة، والواقع ان الامر لا يتعلق بصعوبة الحصول على دم في هذه المستشفيات انما اصلاً الموضوع قائم على غرض تجاري، فالمستشفى يحصل على قنينة الدم بسعر ويبيعها على المرضى بسعر آخر، ربما اضعاف سعر الشراء، وهذا الامر يعده اصحاب المستشفيات جزءاً من الخدمات التي يقدمونها الى مرضاهم.

عمل انساني

في المركز الوطني لنقل الدم كان المواطن حيدر جعفر قد خرج تواً من المركز بعد ان تبرع بقنينتي دم لاحد المواطنين من اهالي مدينة سوق الشيوخ بمحافظة ذي قار، حيدر يعمل سائق (تكسي) وما ان عرف بحاجة المواطن حسين خلف الى الدم وعدم وجود معارف او اقارب له في بغداد، حتى ابدى استعداده للتبرع له بالدم، يقول: نحن العراقيين نهب دماءنا لمن يحتاج اليها، وهؤلاء الذين يبيعون دمهم فهم غير محسوبين علينا، انه نفر قليل وانتهازي اما الغالبية هنا فهم يتبرعون بدمهم تطوعاً، لانه عمل انساني ووطني.

في المركز الوطني لنقل الدم

في المركز الوطني لنقل الدم تحدث لنا الدكتور حيدر الشمري مدير المركز عن مهمات وعمل المركز قائلاً: يعمل مركزنا على تأمين الدم بالنوعية والكمية الكافية وذلك عن طريق المحافظة على سلامة المتبرع بالاعتماد على اسس صحية، تتعلق بانتقاء المتبرعين ولياقتهم الصحية، والتأكد منها بفحوصات مختبرية وسريرية، ويقوم المركز ايضاً بفصل مكونات الدم: الخلايا الحمر المركزة، البلازما، الصفائح الدموية، الرسب البارد، وحفظها بالوسط المناسب وللمدة التي يصلح فيها الاستعمال، وللمركز الوطني لنقل الدم مهمات اخرى غير العلاجية والوقائية كالتدريب والتثقيف والرقابة واجراء الفحوصات النوعية والبحوث العلمية.

- تنابلة ومدمنون يبيعون دمهم مقابل ملء بطونهم

- مدير المركز الوطني لنقل الدم: نظام العوض الذي نعتمده نظام عالمي، ولا يوجد بديل عنه

ظاهرة نحاربها

وعن ظاهرة الاتجار بالدم وحقيقتها اجاب الدكتور حيدر الشمري مدير المركز الوطني لنقل الدم قائلاً: اننا لا ننكر وجود هذه الظاهرة ولا وجود مثل هذه الشريحة الانتهازية التي نحاربها بالوسائل المتاحة. هذه الظاهرة ليست وليدة وزارة الصحة الجديدة بحسب تعبيره وانما يمتد عمرها سنوات طوال، واقول هذا الكلام من دون ان اتجنى على احد فهي ظاهرة قديمة، وانا ادعو جميع ابناء البلد للوقوف ضدها بعد ان فشلت جميع الجهات المعنية ولا سيما الجهات الامنية المختصة في التصدي لها، ان الحل يأتي - كما يقول الدكتور الشمري- من خلال التبرع بالدم، وهو واجب انساني وديني. كما ادعو جميع المواطنين المرضى الى عدم اللجوء لهؤلاء الانتهازيين. وتشجيعهم بالاستمرار في استغلال ذوي المرضى.

نظام عالمي

وعما اذا كان النظام الذي يعمل به المركز الوطني لنقل الدم، وهو "نظام العوض" دفع المواطنين للجوء الى شراء الدم عن طريق السماسرة، دافع الدكتور حيدر عن النظام الذي يتبعه المركز الوطني لنقل الدم وقال: ان نظام التبرع بالدم في العراق ومنذ سنوات طوال هو نظام التعويض، وهو نظام معمول به عالمياً ولا يوجد لدينا بديل يوفر الدم غير هذا النظام، وهو دفع المتبرعين من ذوي المريض او اقاربه او اصدقائه للتبرع بالدم اضافة الى شريحة نسبتها قليلة جداً يسعى المركز جاهداً وبصورة يومية لتوسيعها والمحافظة عليها، وهي شريحة التبرع الطوعي وهو اساس الحل الجذري للمشكلة.

نبحث عن حل جذري

عندما اخبرت الدكتور حيدر الشمري ان الاشخاص الذين يقومون بالمتاجرة بالدم معروفون فلماذا لا يضع المركز حداً لوقف هذه الظاهرة؟ اجابني:

هذه مشكلة حقيقية أسيئ فهمها وخلاصة الموضوع ان هناك اشخاصاً انتهازيين يلتقون عند المستشفيات وامام مصارف الدم عملهم التوجه نحو حاملي استمارة طلب الدم الواردة من المستشفيات الرسمية الى مصرف الدم، وهؤلاء يقومون بمحاولات لإقناع ذوي المرضى بالتبرع لهم بالدم لقاء مبلغ من المال ويتم هذا الاتفاق خارج المركز، كما يقومون بمنع ذوي المريض من الدخول لمصرف الدم لطلب المساعدة الانسانية التي يقدمها المركز على نحو يومي قدر توفر الارصدة الكافية من الدم ومشتقاته من خلال تبرع المتطوعين وهو امر موثق في مركزنا ونحن على استعداد لكي يطلع من في نفسه شك على تلك التوثيقات وقد قام المركز ايضاً برصد تلك الحالات وليست من السهولة معرفة هؤلاء الانتهازيين الذين يقومون بالاتفاق مع ذوي المرضى ففي حالة سؤالهم عن المتبرع تكون الاجابة بانه قريب او صديق مما يصعب تشخصيه من المركز وبالتالي منعه، وهنا يشارك المواطن للأسف بعملية التضليل علماً اننا قمنا بالتبليغ عن مثل هذه الحالات وابلغناها الى وزارة الداخلية وفي كل الاحوال هذه المعالجات هي آنية ونحن نبحث عن حل جذري لهذه المشكلة التي استمرت الى هذا الوقت.

هذه اسبابها

ويرى الدكتور حيدر مدير المركز الوطني لنقل الدم ان الاسباب الرئيسة لهذه الظاهرة واستمرار الانتهازيين في استغلال الناس تعود الى:

١- عزوف بعض ذوي المرضى من القادرين على التبرع بالدم واستسهال عملية دفع مبلغ من المال خارج مصرف الدم لهؤلاء السماسرة كونه متمكناً مادياً.

٢- ضعف التعاون بين العديد من المؤسسات ذات العلاقة في البلد مع وزارة الصحة والمركز الوطني لنقل الدم.

٣- عدم اتخاذ الاجهزة الامنية المتخصصة الاجراءات الرادعة تجاه هذه الشريحة الانتهازية التي تسيء الى اهم الوزارات في البلد. واضاف: نعتز في المركز الوطني لنقل الدم باننا قمنا ونقوم بتجهيز آلاف القناني من الدم كل شهر للحالات الطارئة كالجرحى من العراقيين الابرياء من جراء العمليات الارهابية.

ازدياد الطلب على الدم

واوضح الدكتور حيدر الشمري ان ارتفاع معدلات العمليات الارهابية وعمليات القتل والتفجير والحوادث الاخرى، رفعت من معدلات الطلب على الدم ولا سيما في الاشهر الاخيرة، ومع هذا فلدينا رصيد لا بأس به من الدم لكننا نعاني نقصاً في اصناف الدم السالبة، واشار الدكتور الشمري وهو يراجع قوائم تجهيز الدم الى المراكز والمستشفيات ان مستشفيي مدينة الطب والكرامة هما اكثر المستشفيات طلباً للدم، يليهما مستشفيا الكندي والكرخ، وهذه المستشفيات جميعها جراحية، اذ يحتاج الجرحى في الغالب بين ٥- ٧ قناني دم، كما يقوم المركز وعلى نحو دوري بتجهيز مراكز (الثالاسيما) في مستشفيات الكرخ والكرامة والرصافة وابن البلد وبلا عوض.

وحدة جمع الدم المتنقلة

واضاف الدكتور الشمري ان ازدياد الطلب على الدم دفعنا الى استحداث وحدة جمع الدم المتنقلة في المركز الوطني، وتقوم هذه الوحدات بجولات في المساجد والجوامع والمدارس لحث المواطنين على التبرع بالدم، وقد وصل عدد المتبرعين خلال هذا الشهر الى رقم جيد وهو ٢٠٠٠ متبرع ونأمل ان نوسع عملنا في الايام القادمة.

انتعشت من جديد

وعلى اية حال فان تجارة الدم التي نمت وترعرعت في ظل الحروب العديدة التي مر بها البلد عادت لتنتعش من جديد بسبب العمليات الارهابية وحوادث القتل والاغتيال والاعمال المسلحة كما اسهمت المستشفيات الخاصة بانتعاشها لانها باتت اكبر عميل لسماسرة الدم.

تحت الضوء

فلسفة المقاومة (الشريفة)

احمد الاخرس

لا تزال فلسفة نشطاء المقاومة (الشريفة) يكتنفها الكثير من الضعف.فمن يتابع اللغة التي يستعملها المتعاطفون مع تلك المقاومة والذين قد يكونون هم الواجهة الاعلامية لها لأنها مقاومة(غير مرئية)،يدرك مساحة الخلل عندهم. لأنهم يخرقون الشروط الكونية لمقاومة المحتل،أي محتل كنبل الهدف والاجماع على المقاومة والمشروع السياسي الواضح .

فمنذ بداية ظهورهم على السطح،لم يستطيعوا ان يدافعوا عن النظام القديم،لان حركة التاريخ تمنع ذلك،وهم بذلك سحبوا معهم عوامل ضعفهم،وبدأت ملامحهم الغامضة تتشكل شيئا فشيئا، يغلفهم ثوب ديني مهلهل احيانا،او يؤطرهم فكر (قومجي)اكل الدهر عليه وشرب،احيانا اخرى.

برغم انهم قد استفادوا من الطبيعة المتوارثة الصالحة للمقاومة في الارض العراقية، الا انهم قد استهلكوا اكثرها.، وكانت نقطتهم الاقوى، ان العراق محتل والطبيعة العراقية لاترضى بذلك بل انه قد لانبالغ في القول انه يزيد على كثير من الشعوب في كراهيته الاحتلال،وطبعه الحاد،لقد ارادوا من الآخرين ان ينسوا ان الاحتلال قام على نظام دكتاتوري طحن شعبه قبل ان يلفح شره وجوه الاخرين، حتى اولئك الذين ينتمون الى قوميته نفسها، وانه كان هو السبب في كل هذه الاوضاع .

تلك (المقاومة) اللغز، التي من دون شك حرص زعماؤها على ان يخفوا وجوههم الحقيقية عن الشعب، فلا احد يعرفهم واذا تمت مقابلة احد منهم فهو يظهر ملثما،بل ان حتى اولئك الذين يمثلون واجهة المقاومة(الشريفة) يصرحون بأنهم لا يعرفون اي شخص اذا ماسئلوا عن طبيعة تلك المقاومة ،كأنهم قادمون من كوكب اخر! قد يتهمهم البعض مدعيا ،انهم جلادونا السابقون انفسهم، وان (ابطال)اليوم هم (ابطال) الامس انفسهم وان لافرق بين من يقتل الحلاقين اليوم ومن كان بالامس ينشر سيطراته في الشوارع ويعتقل الشباب لمجرد ان ملابسهم او طريقة حلاقتهم لاتعجب.

ارحموني وقولوا لي كيف تصنفون مثل هذا الفعل : روى لي شاهد عيان حادثة وقعت يوم الهجوم على سجن(ابو غريب)،حينما كانت هنالك دبابة أمريكية تقف على الجهة اليمنى من جسر الشهداء المتصل بالسريع الدولي ، ثم حدث اختناق مروري ،سد الطرقات ،وقد حوصر هنالك عدد من السيارات القادمة من عمان ، عندها تبرع صاحب سيارة (بيكب) كان يقف هناك ،مشيرا الى الاخرين ان يتبعوه ،لانه قد بدا لهم انه يعرف الطريق ،فما كان من قافلة السيارات تلك الا ان سارت خلفه ،ولكن الكارثة حدثت عندما تجاوزت سيارة (البيكب) الدبابة الاميركية المتوقفة هناك لتعطي اشارة الى سيارة اخرى، اقتحمت الطريق بعد ان اتخذت من السيارات الاخرى غطاءً لها ، واصطدمت بالدبابة الاميركية وحدث انفجار كبير،وتطايرت الجثث في كل مكان . لقد سقط الكثير من العراقيين حينها ، وقد راقبت قنوات فضائية عديدة في ذلك اليوم، لم تذكر اية واحدة منها اية معلومة عن الضحايا العراقيين الذين لم يكن ذنبهم الا انهم كانوا هناك في لحظة جنونية، واكمل شاهد العيان قوله: ان الدبابة الاميركية المدرعة لم تتأثر الا قليلا!!

كيف يفسر هذا(الجهاد الشريف) وماذا يقول البعثيون عن هذه (المقاومة الشريفة) التي تستخدم الابرياء لقتل الاميركان المحتلين،اعتقد انها لعبة خطرة تتجاوز نشطاء المقاومة (الشريفة) انفسهم .

ثم الا يمكن ان تعطي المقاومة (الشريفة)هدنة في (جهادها) هذا،بعد ان اختلط الحابل بالنابل،الا يريدون ان يبعدوا التهم عنهم، لقد اعترفوا هم انفسهم بان هنالك ارهابا يقتل الاطفال ويغتصب النساء ،افلا يدرك اولئك انهم يؤذون شعبهم الذي تحمل الكثير، وانهم يؤخرون بناء الانسان والديمقراطية فيه، بل انهم يسيئون الى مفهوم المقاومة؟! الا يتعلمون من المقاومة في اماكن اخرى، فهذه منظمة حماس لا تقتل الشرطة الفلسطينية ولا حتى اولئك العمال الفلسطينيين الذين يعملون في المصانع الاسرائيلية وهم بالالاف ،كما انه لم يعرف عن حزب الله انه قتل اللبنانيين